بعد خمس سنوات على وصوله للعرش.. نظام آل سعود من سيء لأسوء

التغيير

يحتفل نظام آل سعود في الثالث من ربيع الثاني من كل عام (صادف هذا العام يوم السبت 30 نوفمبر)، بيوم تولي سلمان بن عبد العزيز حكم الجزيرة العربية، لكن احتفال هذا العام يأتي في ظل شروخ سياسية واقتصادية، وأزمات دبلوماسية، وحرب تقودها حكومة آل سعود في اليمن، وانفتاح كبير داخل المجتمع، وأوضاع حقوقية قاهرة تندد من أجلها المنظمات الدولية.

وفيما تحتفل سلطات آل سعود بالذكرى الخامسة لبيعة سلمان تفاقمت خلال الأعوام الخمسة الصعوبات الاقتصادية والتطورات السياسية غير المحسوبة، وما صاحبها من أزمات مختلفة ما زالت تحاصر المملكة حتى اليوم.

ومنذ اعتلاء سلمان سدة العرش بعد رحيل عبد الله في يناير 2015، ونجله محمد لا يتوانى عن صعود سلم السلطة في خطوات متلاحقة وسريعة، مستخدماً سلطة والده لتغيير صورة الجزيرة العربية إلى الأسوأ.

أزمات اقتصادية وبطالة

ومع تولي سلمان الحكم، قامت سلطات آل سعود بتخفيض رواتب القطاع العام وخفض الدعم، وارتفعت أسعار الوقود والكهرباء والمياه، في محاولة منها لمواجهة العجز الكبير في ميزانية الدولة، فضلاً عن اقتراض المملكة المليارات من الداخل والخارج.

كما أطلق سلمان "سياسة التقشف" في مختلف قطاعات الدولة لتقليص العجز في الميزانية، وتخفيض الدعم للمحروقات والكهرباء والمياه وسلع أساسية، وهو ما أثر على الاقتصاد وزاده ركوداً وأضر بـ"القطاع الحكومي" الذي تضاءلت فرص الوظائف فيه.

وتشير تقارير دولية إلى أن مواطني الجزيرة العربية كانوا يتمتعون بأوضاع اقتصادية جيدة نسبياً في السابق، بفضل العائدات النفطية التي تحصل عليها بلادهم، لكنهم بدؤوا يشعرون خلال الأعوام الخمسة الأخيرة بأن ظروفهم المعيشية قد تدهورت كثيراً، بسبب السياسات المتخبطة والحرب المستمرة في اليمن منذ مارس 2015.

وكان آخر خسائر سلطات آل سعود حين شهد فائض ميزان تجارتها الخارجية (النفطية وغير النفطية) انخفاضاً بنسبة 6.1% على أساس سنوي في النصف الأول من 2019، وخسائر عملاق النفط "أرامكو" الكبيرة عقب الهجوم الذي تعرضت له في منتصف سبتمبر الماضي، وأوقف تصدير نصف إنتاجها لنحو نصف شهر.

حرب اليمن وتبديد الأموال

وبعد شهر فقط من توليه الحكم يبدو أن أسوأ قرار اتخذه سلمان هو إعلان بلاده حرباً على اليمن دعماً لحكومة هادي هناك.

وفي حين ظنتها حرباً خاطفة لن تستغرق سوى بضعة أسابيع أو أشهر للقضاء على جماعة متمردة، ما زالت سلطات آل سعود تتجرع كأس الحرب التي شنتها ضد أنصار ا فترتد تلك الحرب عليها خسائر عسكرية واقتصادية لم يُفصح بعد عن أبعادها.

ولم يعد التساؤل حالياً عن عدد الطلعات الجوية السعودية والمواقع الحوثية العسكرية المستهدفة، بل عن الهجمات المضادة والصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة التي بات الداخل السعودي فيها هدفاً

سهلاً لحركة أنصار ا.

وإلى جانب ذلك تلاحق سلطات آل سعود المنظمات الدولية تتهمها بارتكابها مجازر بحق المدنيين باليمن؛ في حربها التي خلفت آلاف القتلى، وسط مطالبات برفع تلك الجرائم إلى الجنايات الدولية للمطالبة بمحاكمة المسؤولين السعوديين.

ويضاف إلى ذلك الضريبة الاقتصادية للحرب، التي تحولت إلى الحاجة لصفقات أسلحة بـ46 مليار دولار مع أمريكا، ثم الاستعانة بقوات أمريكية لحماية البلاد من تكرار الهجمات على مصالحها النفطية، وهي الخطوة التي أكد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أن الرياض دفعت لأجلها.

خاشقجي.. وأزمة قطر

وكان لجريمة اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي في قنصلية بلاده بإسطنبول، في أكتوبر 2018، بالغ الأثر على حكم سلمان، ووصمة عار ستلاحق نجله الذي أكدت تقارير استخباراتية تورطه بالجريمة.

وشكل الاغتيال صفعة مدوية للأعراف الدبلوماسية بتحويل القنصليات إلى ساحات للقتل، كما أن بشاعة الجريمة شكلت استهتاراً حتى بالشريعة الإسلامية التي تقول سلطات آل سعود إنها مصدر التشريع فيها.

وأدى تصاعد الغضب الدولي إثر مقتل خاشقجي إلى مواجهة سلمان ونجله محمد عزلة دولية، ووضعت سجل حقوق الإنسان في المملكة تحت المجهر وأساءت لصورة النظام.

وسعى الملك ونجله منذ ذلك الحين إلى إصلاح سمعتهما عبر إطلاق حملات علاقات عامة من أجل جذب المستثمرين الأجانب، مع تسريع ما يصفه المحللون بـ"الميل نحو الشرق"؛ بتعزيز التحالف مع دول لا تنتقدهما، مثل الهند والصين وروسيا، ولكن هذه الخطوة لم تحقق نجاحاً كبيراً، كما منعتهما لفترة من التنقل إلى دول أوروبا وأمريكا خشية ملاحقتهما دولياً.

وكان حصار قطر الذي قادته سلطات آل سعود والإمارات إلى جانب البحرين ومصر، في يونيو 2017، أحد أكبر الأزمات التي صنعتها المملكة في عهد الملك سلمان، وتسببت في شرخ كبير داخل البيت الخليجي لأول مرة في تاريخه.

الاعتقالات والتعذيب

وليست جريمة مقتل خاشقجي هي الانتهاك الوحيد لسلطات آل سعود وإن كانت هي الأبرز والأكثر تعقيداً، بل يمكن الجزم بأن حقوق الإنسان تدهورت في المملكة بشكل كبير وملحوظ، حيث توالت الاعتقالات لأصحاب الرأي والمفكرين والناشطين وبتهم سطحية لا تتناسب مع أحكام إعدامهم التي صدرت، وفق منظمات حقوقية.

ومنذ استلام ولي عهد آل سعود محمد بن سلمان السلطة بدأ بحملات اعتقال لبسط سلطته ونفوذه، طالت العديد من رجال الأعمال بحجة مكافحة الفساد، وشملت عدداً من العلماء والكُتاب، معظمهم ضمن "تيار الإصلاح" في المملكة، وبينهم المفكر والداعية سلمان العودة الذي اتهم بعدة تهم ينفيها، أبرزها "التقصير في الدعاء لولي الأمر".

ولم تتمكن أيّة جهة حتى الآن من الضغط على سلطات آل سعود من أجل احترام حقوق الإنسان فيها، فقد أظهر تقرير لمنظمة العفو الدولية "تقصير الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه عن التزامهم بدعم وحماية المدافعين عن حقوق الإنسان الذين يواجهون تهديدات وهجمات مميتة على نحو متصاعد في بلدان مختلفة من ضمنها السعودية".

الترفيه والانحلال!

وبعد عقود من المحافظة على عادات وقيم المجتمع المحافظ وبشكل صارم، شهدت الجزيرة العربية خلال العامين الأخيرين من تولي سلمان الحكم، تغريب نمط الحياة ثقافياً ودينياً واجتماعياً في البلاد.

ومن افتتاح دور السينما، وتشريع الحفلات المختلطة، والسماح للنساء بحضور مباريات كرة القدم، وترخيص لعبة البلوت وإقامة مباراة رسمية لها، وإقامة حلبات المصارعة النسائية والرجالية، واستضافة المغنيات الغربيات بسمعتهن المرتبطة بالعري، ومسابقة الألوان المختلطة بين الرجال والنساء، بدت المملكة مؤخراً بوجه غير مألوف على الشعب والعالم.

جاء تخفيف القيود الأخيرة على عديد من أشكال الترفيه كجزء من خطة ولي عهد آل سعود بحجة تنويع اقتصاد البلاد، لكن منتقديها من بوابة الشرع والقيم واجهوا قمعاً واعتقالات.

حيث تتعرض السلطات للعديد من الانتقادات إثر التغيير الاجتماعي والترفيهي المفاجئ في البلاد، والذي

خالف جميع العادات والتقاليد والالتزام الديني الذي حافظت عليه المملكة سنوات طويلة.

السعودية بأسوأ حال

يقول الباحث والكاتب ناصر الدهبلي إن السعودية "لا تبدو بأحسن حالاتها اليوم، ولا تبدو الأماني بعد مرور خمس سنوات على "سعودية سلمان" متحققة، أو في وارد التحقق، بل على العكس توجد مؤشرات على فشل ذريع لحكمه".

ويضيف إن سلمان بمجرد توليه موقع الحاكم بالسعودية، وإحكامه القبض على السلطة، أعطى لنجله محمد الصلاحيات الكاملة، الذي ساهم في فقدان السعودية لسمعتها عالمياً.

وتابع: "حين زج الملك البلاد في صراع متأصل في اليمن، وتبين أيضاً أنها سياسة خرقاء، جعل السعودية تعيش أوضاعاً سيئة وربما تكون أكبر كارثة مرت بها المملكة".

ولفت إلى أن نظام آل سعود أصبح "سيئ السمعة، فمن حرب اليمن إلى الاعتقالات، وصولاً إلى جريمة قتل وتقطيع خاشقجي لمجرد أنه انتقد طريقة الحكم، وهذا ما يؤكد أن هناك نظاماً مجرماً يسيطر حالياً على المملكة".

وأكد أن سلطة سلمان ونجله "تعرضت للإذلال والمهانة، خصوصاً بعد الهجوم الأخير الذي تعرضت له أرامكو، والاتهامات المتلاحقة لولي عهد آل سعود بجريمة قتل خاشقجي، التي هزت العالم، وأعقبها مطالبة بمحاكمة بن سلمان".

واختتم حديثه بالقول: "في اليمن تتورط سلطات آل سعود دون أفق، ويتخلى الحلفاء عنها، حتى الإمارات تتركهم لمصيرهم المجهول، وهنا يظهر العجز عن صياغة استراتيجية خروج من مستنقع دخله سلمان متباهياً".